ومبادي العلوم ومنها الهندسة العملية وكل ما له علاقة بالادب والثقافة تعليما ابتدائياً يصيرها قادرة على التفكير الصحيح (٤) تتعلم الاخلاق الاسلامية تعليما وتخلقا فحسن الخلق يقدم عند عقلاء الناس على حسن الخلق وما سعادة المرأة الا في اخلاقها الكريمة الدائمة لا في جمالها الذاهب فلتكن عروسة صالحة وأماً رؤوفاً لتصلح لسيادة البيت ورياسته أما الجمال او المال وحدهما فلا يؤهلانها لذلك لا سيما مع انتشار العلم في الذكور (٥) تتعلم تدبير المنزل بمعناه الحقيقي والاقتصاد والرشد في الاحوال (٦) تتعلم تدبير الصحة والرياضة البدنية لما في ذلك من حفظ صحتها وصحة اولادها لتربيهم جسما وروحا وأدبا (٧) تتعلم فن التربية لتحسن تربيتهم به وتسبك منهم جواهر نفيسة تكون حلية في تاج البلاد المغربية (٨) تتعلم صنعة او أكثر كالخياطة والطرز والفنون الجميلة والطهي وغير ذلك استعداداً للطوارئ ولا سيما إذا كانت فقيرة فالصنعة لها ضرورية ، فاذا حصلت الفتاة على هذا القدر من التهذيب أمكنها أن تؤدي وظيفتها وكانت خيراً على أمتها ، فإن بقيت جاهلة كانت عضواً أشل وشقاً ذا شلل ولعله عن قريب سيجيء يوم نندم غاية الندم فيه على عدم ترقية البنت ونجدها أفلتت من يدنا جاهلة بعلومنا الصالحة لنا فتتعلم علوماً لا تليق بنا وتكون أعظم كارثة عاناها المغرب.

فهذا القدر من التعليم الابتدائي الديني الادبي الدنيوي هو الذي أقوله جهراً وأطلبه وأحض عليه وأعتقد انه لا سبيل لرقينا وانتشالنا مما نحن فيه من تأخر احوالنا ونقصان مدارك رجالنا وسوء نظام مجتمعنا إلا به ، ويمكن الفتاة ان تحصل عليه قبل أوان الحجاب إذا أدخلت المدرسة وهي بنت خمس سنين فلا تاتي السنة الحادية عشرة او الثانية عشرة إلا وهي محصلة لذلك فعند ذلك يسدل الحجاب وتكمل تعلمها ان شاءت داخل الباب إذ لكل نفس حق طبيعي في طلب الكمال وتنمية الملكة الفاضلة الى أقصي حد ممكن .

ولست أرى من حاجة لبنت المغرب الذي يرى الحجاب ديناً حقاً وشريعة محكمة يجب حفظها وعليه مبنى نظام العائلة أن تدخل مدرسة ثانوية لتحوز إجازة دبلوم او باكلوريا او غيرها مما يفعلونه في الشرق وإني أرى سد الذرائع هنا واجباً فلنقتصر بهن على التعليم الابتدائي الذي يقتصر عليه سواد الامم الراقية فضلا عن أمة مثلنا لا يحصله منها إلا القليل من الذكور .

المرأة المسلمة

بقلم صاحب السعادة الوزير الشهير
السيد الحاج عبد القادر بن غبريط

ان للوزير السيد ابن غبريط محاضرات نفيسة في المرأة المسلمة وفي كلها يرمي جنابه الى التعريف بحقيقة حالها التي تخفى على الاوساط الغربية ورد بعض ما يوجه اليها من انتقادات ، وكثيراً ما يؤثر على بعض شباننا ما يكتبه الغربيون في ذلك ، فكان من المناسب ان ننشر هذه الكلمة الرقيقة لرجل حنكته التجارب ويعلم من العادات المختلفة ما لا يعرفه غيره ليرى انه من الواجب ان نتمسك بنظمنا الاجتماعية و بالاخص ما يتعلق منها بالعائلة التي هي اساس المجتمع واذا كانت هناك اصلاحات تضطر اليها الظروف فيلزم ان تنجز بالتدريج وفي الدائرة الخاصة بنا والمميزة لنا اذ لا منفعة في الخروج عنها ولا داعي.

إن كثيراً من الكتاب الغربيين لا يعرفون حقيقة المرأة المسلمة تلك الرفيقة الوفية التي تعيش في ظل عوائدها محترمة لعقيدتها ولنفسها ، فهم يصورونها تارة كحورية أغدقت عليها النعم وتارة أخرى كبهيمة تجر المحراث ، وكيفما كانت فهي فيما يكتبون لا توازي الرجل أبداً .

يقولون إن المرأة في المجتمع الاسلامي محرومة من كل حرية ففي منزلها تحوط بها جدر وتقفل عليها ابواب وفي خارجه يستر وجهها برقع لا يستشف منه ، على ان ذلك يحول بينها وبين شهوات نفسها ويحفظها من طمع الطامعين ،

ولننظر في ذلك عن كثب ولنلاحظ قبل كل شيء ان حياة المرأة بالبادية غيرها بالمدن ، فللمرأة البدوية من الحرية ما للرجل سواء في الحقول او تحت الخباء ، ولا كنها والحق يقال اكتسبت حريتها بفضل عملها وكدها وذلك بمشاركتها في الاعمال الحراثية الشاقة ، نعم ان الفلاح العربي الشديد الحرص على الكسب العنيف حتى مع نفسه يميل بالطبع الى استغلال كل قوة عضلية لديه حيوانية كانت أم انسانية لاستثمار ارضه واستخراج منتوجاتها على ان هذه العقلية موجودة في أوربا ايضاً حيث ترى نساء يشاركن في مثل تلك الاعمال بارياقها .

ومن الانصاف أن نعارض هذه العادة ـ وهي غير قاعدة عامة ـ بنفوذ المرأة الادبي والثقة المخولة لها في داخل عائلتها ، فليس المثل الدارج الذي يقول : « شاورها واعمل برأيك » سوى إقرار بأن المرأة يجب أن تدعى على اي حال الى الافصاح عن رأيها ومتى تلطفت في التعبير عمل به قرينها ، والحقيقة أن الحياة الزوجية في البادية العربية القفراء لا تختلف عن الحياة الزوجية في شواطئ نهر السين ، فإذا لم تتظاهر المرأة هنا او هناك بمظهر الآمر تقبل زوجها بنشاط ما تملي عليه من رأي .

وفي البادية لا يخطر بالبال حبس المرأة ببيتها بغيرة زائدة فالسجن لا يكون من جدر من نسيج ومنازل من تبن سقفها السماء ونورها النجوم ، فالمرأة البدوية يمكنها أن تتطوح بكل حرية وأن تدور حول الآبار من غير أن تحفل بوضع حجاب على وجهها بل أنها احياناً تستر نفسها بخرقة صغيرة تجعلها حول خصرها وتترك صدرها وساقيها تلاعبهما أشعة الشمس ، أما في المدن فالامر على عكس ذلك حيث فساد الاخلاق أوجب اتخاذ تدابير صارمة على ان نساء الشعب يتمتعن بحرية كبيرة في حركاتهن ، وهن في الحقيقة يستعملن الحجاب ولا كن استعماله لا يعوقهن أكثر ما تعوق الازياء العصرية اخواتهن الاروبيات ، فإنهن يباشرن اشغالهن رغم الحجاب ، فيذهبن وحدهن للسوق ويشترين من المخازن ما يلزمهن بعد المناقشة الطويلة ومن غير مراعاة أي شيء ، فلا يمكن والحالة هذه ان يقال إن فقدان الحرية المطلقة قاعدة في سائر طبقات المجتمع ، وهذه القاعدة توجد في صورة خفيفة عند نساء العائلات الكبيرة حيث كثرة الخدم لا تترك لهن الفرصة للخروج ولكن لهن في منزلهن نفوذ عظيم في تدبير شئون الاسرة والمشاركة في جميع الغرائم الراجعة لحياة ازواجهن واولادهن ، فإذا استثنينا اقلية ضئيلة وجدنا إذن ان النساء العربيات يتمتعن بحرية كاملة او على الاقل بحياة أسعد مما يظن في الغالب .

ومن جملة الانتقادات الموجهة ضد المجتمع العربي تعدد الزوجات ايضاً ، وهو من أجل النظم الاسلامية ويرجع أصله الى أقدم العهود وثباته منذ القرون العديدة يدل دلالة واضحة على أنه يحتوي على مبادئ شريفة وإلا لكان قد اضمحل منذ زمن بعيد .

إن تعدد الزوجات عبارة على حال الرجل الذي له عدة نساء في آن واحد ولا يكون ذلك بمعناه الشرعي إلا إذا كانت تلك النساء متزوجات به وقام هو بالانفاق عليهن وبغير ذلك من الواجبات الملقاة على كاهله أما لو كان معنى تعدد الزوجات ان يكون للرجل دون زوجه الشرعية علاقات خصوصية عرضية أو متواترة مع امرأة أخرى فإن

العالم من هذه الناحية آهل بالرجال المعددي الزوجات .

وجل الامم المتمدنة تقبلت هذه العادة بصدر رحب وعملت بها في عهد رقيها ولما جاء الاسلام جعل لها حدا ، ومعلوم أن المرأة لا يروقها أن يبالغ الرجل في حب النساء لاعتقادها بأنها تستطيع ان تكفل بانفرادها سعادة زوجها ، وإذا كانت لها شريكات فإنها تغار منهن ولها العذر في ذلك ، فكان لزاماً على المشرعين لارغامها على قبول التعدد ان يتسلحوا بحجج قوية ، فإن الحكمة الالاهية أرادت بخلق الذكر والانثى تعمير الدنيا فكان التناسل أول مهمات الجنس البشري وبما ان القوة التناسلية لا تنقطع عند الرجل حتى الممات وليس للمرأة مثل ذلك كان من الطبيعي ان يباح للرجل ان يعدد زوجاته على قدر استطاعته ، فالكلمة القائلة : « تناكحوا تناسلوا » موجودة في سائر الاديان وقد طبقت في بلاد الاسلام بشدة زائدة ، ثم إذا لاحظنا من جهة أخرى ان المرأة تعتريها أمراض وطوارئ متنوعة وجدنا أنها مضطرة الى اجتناب زوجها مدة قسط كبير من حياتها ، فهل كان من المعقول ان يترك الرجل أثناء هذه المدة معرضاً لشهواته وهل النظام الاجتماعي الذي يفرض على الرجل معاشرة بيته بعد الفراغ من شغله لا يتضرر من ذلك ؟ وقد يحدث ان تكون الزوجة لا قابلية لها للولادة فهل من الصواب أن يحكم على العائلة بالعقم ؟ فكل هذه الاسباب تؤيد عادة تعدد الزوجات تأييداً قوياً خصوصاً إذا اعتبرنا التناسل كمبدأ رئيسي للحياة ، وهكذا يظهر جلياً ان هذه العادة ترتبط بأعلى مبدأ في النظام الادبي .

وزيادة على هذه الاعتبارات الادبية توجد في بعض الاحيان أسباب عملية ايضاً ، فعدة نساء ملتفات حول زوجهن يكوّنّ جمعية ينتج من تعاون افرادها نفع للجميع .

وأخيراً نلاحظ ان الاسلام مدين لتعدد الزوجات من الوجهة الاجتماعية بفوائد جمة ومن جملة ذلك أنه لا يوجد عند المسلمين نقل (١) فكل امرأة تزوج ولو كانت مجردة من المواهب الطبيعية وبذلك وجدت مشكلة الحياة المادية التي تعترض النساء حلا مرضياً .

ورغم هذا كله يظهر ان حالة المرأة بعيدة عن الكمال ولاكن من يدعي ان النساء الغربيات بلغن من جهتهن الغاية التي يصبون اليها ؛ فإن التقاليد العربية جعلت المرأة وأقرتها بالمكان اللائق بها اي في بيتها بين زوجها واولادها حيث تكون السيدة المتصرفة المحترمة المحبوبة وان كانت دائرة اعمالها محدودة فهي على كل حال اعمال جليلة شريفة تبعث في النفس سروراً وارتياحاً ، على ان شروط الحياة العصرية باروبا من شأنها ان تدفع احياناً بالمرأة خارج مدلولها الحقيقي ومهمتها الطبيعية وخارج الزواج والامومة والوداعة العائلية .

فلا يمكن اي شعب أن يدعي أنه بلغ الكمال في الهيئة الاجتماعية ، ومن المعلوم ان الاسلام غير عدو للعلم وان مبادئه الاساسية تطابق التقدم مطابقة تامة ، ولا كننا نحب ان يكون تطور نسائنا في دائرة سننا وعوائدنا ، وذلك لاننا من دعاة التطور لا من دعاة الثورة وكل عمل يرمي الى تحسين حالة المرأة جدير بالتاييد فإن فضل المرأة على المجتمع عظيم فهي منبع الحياة وهي أيضاً الرفيقة الحصيفة البشوشة التي نرتجي بعد الفراغ من عنائنا وأتعابنا وهي مثال الحب الصادق ما دمنا أهلا لهذا الحب وهي للرجل مثل الزهرة للحديقة ، حلية واريجاً وبهجة للعينين وللفؤاد .

(١) جمع نقلة المرأة تترك ولا تخطب لكبرها .